

مساهمة المخابر العلمية ومراكز الأبحاث في الارتقاء بالبحث العلمي والتطور التكنولوجي

The contribution of scientific laboratories and research centers to the advancement of scientific research and technological development

أ.د. حاج علي عبد القادر*

جامعة مستغانم، (الجزائر)، abdelkader.hadjali@univ-mosta.dz

تاريخ الإرسال: 2023/01/24 تاريخ القبول 2023-02-16 تاريخ النشر 2023/03/20

ملخص:

تعتبر مراكز الأبحاث والمخابر الطريق الأمثل لإيصال المعرفة المتخصصة، من خلال ما تقدمه من إصدارات علمية وندوات متخصصة، ولما لها من دور ريادي في توجيه عالم اليوم، كما تعدّ مراكز الأبحاث من القضايا الوطنية الهامة والحيوية، التي تعكس اهتمام الشعوب بالعلم والمعرفة والتقدم الحضاري واستشراف آفاق المستقبل. لذلك فإن لهاته الأخيرة دور بارز وفعل في تطوير الحياة الفكرية والمعرفية، عن طريق أنشطتها الثقافية و منابرها الإعلامية المختلفة، كما تلعب دورا في تطوير نظم التعليم والسياسات التعليمية والاجتماعية والاقتصادية، ولكي يكون لهذه المراكز البحثية والمخابر يد في صناعة القرار عليها أن تحت الدول العربية وتدفعها إلى إقامة مشاريع بحثية ومخططات تنموية في كل القطاعات وخاصة القطاعات الحساسة والمهمة كقطاع التربية والتعليم والثقافة.

الكلمات المفتاحية: البحث العلمي - المخابر - التطور - المعرفة - التكنولوجيا

Abstract:

Research centers and laboratories are considered the ideal way to deliver specialized knowledge, through their scientific publications and specialized seminars, and because of their pioneering role in guiding the world today. Research centers are also considered important and vital national, Which reflects people's interest in science, knowledge, civilizational progress, and future prospects. So; This latter has a prominent and effective role in developing intellectual and knowledge life, through its cultural activities and various media platforms, It also plays a role in developing education systems and educational, social and economic policies. In order for these research centers and laboratories to have a hand in decision-making, they must urge the Arab countries and push them to establish research projects and development plans in all sectors, especially the sensitive and important sectors such as education and culture.

Keywords: Scientific research - laboratories - development - knowledge - technology.

تعتبر مراكز الأبحاث الطريق الأمثل لتبليغ المعرفة فهي تقوم على فطرة وطبع الإنسان ورغبته في اكتشاف وإرتياد المجهول واكتناه أسرار نفسه وخفايا الكون والكشف عما استتر وراء حجاب، وإدراك ما يقع تحت الحسّ وما يقع خارج الحسّ، ويظل العقل يلحّ في طلب المعرفة دون توقف. والمعرفة بدورها، هي اللبنة الأولى والأقوى في بناء الحضارة الإنسانية بناء ماديا وفكريا وروحيا، ثقافة ومدنية.

والحق أن الحضارة لم تنشأ مصادفة، بل هي ثمرة جهد ودأب متواصلين وحصيلة كشوف واستنباطات وإبداعات متلاحقة، كما أنها ليست صناعة فرد أو أفراد، وإن كان لبعض الأفراد من ذوي القدرات والمواهب فضل الريادة والأسبقية بل هي صناعة البشر جميعا على اختلاف أجناسهم ومواطنهم.

إن المخرجات التي تقدمها مراكز البحث تجعل منها مؤشرا على التطور الذي تشهده الدول في الاهتمام بالبحث العلمي، فهي مراكز إشعاع للمنجزات الحضارية والثقافية والنهضوية وعنوان للتقدم، كما أضحت جزءا لا يتجزأ من المشهد التنموي، وذلك من خلال توظيف البحث العلمي في خدمة قضايا المجتمع، بتقديم الرؤى وطرح البدائل، وما تزايد عقد الندوات والمؤتمرات والأيام الدراسية إلا دليل قاطع على أهمية هذه المخابر والمراكز البحثية، ورغم كل هذا فإن مراكز ومخابر البحث العربية لم تتبوأ بعد مكانها الحقيقي ولم تمارس دورها الحيوي وقد بدا دور معظمها باهتا وغير فاعل في عملية التنمية المجتمعية¹.

إن مراكز الأبحاث والمخابر تعتبر الطريق الأمثل لإيصال المعرفة المتخصصة، من خلال ما تقدمه من إصدارات علمية وندوات متخصصة، ولها دورا رياديا في توجيه عالم اليوم، كما تعدّ مراكز الأبحاث من القضايا الوطنية الهامة والحيوية²، التي تعكس اهتمام الشعوب بالعلم والمعرفة والتقدم الحضاري واستشراف آفاق المستقبل.

إن نشأة المراكز في أول الأمر كانت في الجامعات الأوروبية، وتحديدًا في القرن الثامن عشر، وكانت تعرف باسم "الكراسي العلمية" وكان أولها نشأة كراسي الدراسات الشرقية في بولونيا، وفي أوروبا وفي باريس، في المقابل ثمة من يرى أن مراكز الأبحاث ظاهرة حديثة، وكانت بداية نشأتها في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى في الولايات المتحدة³، أطلق على هذه المراكز اسم "السينك تانكس" Think tanks، وترجمت الكلمة في اللغة العربية بـ: "مراكز التفكير"، وهناك من ترجمها بـ: "بنوك التفكير أو الفكر" أو "خزانات التفكير"، أما في بريطانيا، فأطلق عليها اسم "مراكز الأبحاث والدراسات"، وفي حقبة ما بعد الحرب الباردة توسّع انتشار مراكز الأبحاث والدراسات وزاد نشاطها وفي فترة أربعينيات وخمسينيات وستينيات القرن الماضي تأسّس المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية IISS في لندن عام 1958، ومعهد دراسات الشرق الأوسط في أمريكا⁴ عام 1948، ومعهد أنتربرايز الأمريكي لأبحاث السياسات العامة AEI في 1943.

ونحن ننظر إلى دور المخابر، من خلال الأهمية العلمية والفكرية، ومن حيث هي حلقة مهمة في مسيرة التاريخ العلمي والحضاري والإنساني من ناحية، ومن ناحية أخرى باعتبارها الرصيد الثقافي واللغوي والعلمي والفلسفي للأمم، للإنطلاق إلى بناء حضارة علمية وفكرية وفلسفية مبدعة في العصر الحديث، فالنمو الفكري منبعث من التراث وإنشاء المخابر وتفعيلها دلالة على مسايرة ركب الحضارة وما وصلت إليه من تطور علمي وتقني، وفي إطار ثورة المعلومات وإرهاصاتها بالوقوف على أعتاب حضارة عالمية بدت بعض معالمها بالظهور، وما زالت خيوط نسيجها لما تكتمل⁵، فلا بد لمراكز البحث العربية أن تلحق بنظيرتها في الغرب وأن تتجاوز حالة التشرذم الطائفي والإقليمي والسياسي من ناحية، والانبهار والتقليد الأعمى لقيم الأمم المتغلبة في العصر الحديث، ومبادئها ونظمها التربوية والتعليمية والسياسية والاجتماعية. وإن الرؤية المعاصرة تعني التطوير والإبداع والانبعاث الحي من الذات، وزيادة آفاق الحياة الحديثة بكل أطرافها العلمية والثقافية والتربوية، إذ لا إبداع ولا مشاركة أصيلة في بناء الحضارة العالمية الحديثة إلا من خلال الإشعاع الفكري المنبعث من تنشيط المراكز البحثية العربية.

للحديث عن دور المخابر ومراكز الأبحاث لابد من العودة إلى مجدنا الغابر للقيام بإطلالة على ماضينا التليد لمعرفة إلى أي مدى وصل البحث العلمي عندهم فجددهم أنهم كانوا يقودون موكب الحضارة العلمية في واقع البشر وسموا العلوم بلغتهم ومفاهيمهم، وكان لهم حضور اصطلاحي ومفاهيمي في أسس كل العلوم الحديثة. ولا يمكن لمنصف أن يقفز على المرحلة العربية إذا كتب عن تاريخ العلوم في أي حقول كان⁶. لم يجدوا وهم الراغبون في النهوض بأسا في متح العلوم من أصحاب الريادة فيها دون خوف من غزو ثقافي أو تسرب عقدي أو تشويه لغوي، لذلك أقبلوا على النهضة بكليتها.

إن الركود الذي تشهده مخابرنا ومراكز بحثنا يجعلنا ندق ناقوس الخطر، لأن الهوة عميقة والبون شاسع بيننا وبين الغرب الذي قطع خطوات كبيرة، وهذا يجعلنا نشعر بالقلق والخوف على الهوية العربية⁷، فالعالم يتجه نحو هوية نمطية واحدة بعد سقوط الجغرافية من عوامل الإحتكاك والثقاف، فشبكة الاتصالات تشابكت ولم يعد فيها قريب أو بعيد، ولم يعد الحديث عن غزو ثقافي أو فكري مجدي، لأن هذا الغزو بات شأننا نحياه كل ثانية.

وفي اعتقادي أنه ليس من أمة أتيح لها أن تنهض بدور يضاهي دور أمتنا العربية. لقد كان للصحراء والبادية، وللتنقل والترحل أثر في إذكاء العقل وإلهاب العاطفة وإطلاق الخيال عند العرب، فكانت جاهليتهم متوهجة بالمشاعر الفياضة والحكم والأمثال والتصوير والتمثيل وقد تجلى ذلك في تراث خصب⁸، فمالنا اليوم قد تقاعسنا وتراجعنا وأصبحنا ننظر إلى أنفسنا وغيرونا نظرة المغلوب والغالب. هل خارت قوانا وتوقف إبداعنا وجمدت قرائننا؟ أم تنكرنا لما قدمه أسلافنا في ميدان البحث والمعرفة، الذين كانت المعرفة مطلبهم والعلم غايتهم واللسان العربي المبين أداة الإفصاح والإيضاح فتركوا للأجيال اللاحقة من قومهم والأقوام الأخرى علما تنهل منه وتتابع المسيرة، والأيام دول بين الناس.

وحتى لا نبقي نلوم المخابر على التقاعس والركود الذي تشهده في الوطن العربي، لابد من البحث عن المعوقات التي تقف في طريق هذه المخابر وما أكثرها، ولندكر على سبيل المثال ثقافات النشر والحاسوب لم ترق بعد إلى مستوى يتيح للكاتب العربي استخدامها بشكل إبداعي⁹، ولا للقارئ العربي استثمار المعلومات بالمستوى ذاته المتاح في لغات أخرى. والسبب هو عدم ملائمة أدوات النشر العلمي المتوفرة علمياً لخصوصيات اللغة العربية، فهذه الأدوات ابتكرت أساساً لتستعمل للنشر العلمي باللغات اللاتينية وخاصة الإنجليزية، وغني عن البيان أن اللغة العربية مجموعة خصائص تميزها عن باقي اللغات مما يجعل أمر ملائمة الأدوات المبتكرة لغيرها من اللغات مهمة صعبة المنال.

سنبقى تابعين في هذا السياق ما لم تطور أدواتنا وبرمجياتنا بأنفسنا، وهذا ليس بالصعب مع العدد الكبير من المتعلمين والدارسين في هذا المجال.¹⁰ وما يحفظ بعض الأمل هو بعض التجارب الناجحة نسبياً لبعض شركات البرمجيات العربية.

وتبقى قلة البحث المنهجي، إن لم تكن ندرته، بخصوص اللغة العربية وبرمجيتها وتقاناتها وضعف الموجود منه، وما لهذا من آثاره السلبية، فالمشكلة موجودة ومعروفة في معظمها للجميع ولا مناص من الدفع بالجهود الحثيثة، مدعومة بالمال، لإجراء البحث الذي يضع المشكلات ويبحث عن حلولها، فهذا يمثل الخطوة الأولى نحو الطريق الصحيح.

ومن الأدوار التي تضطلع بها مراكز الأبحاث هي إشاعة روح البحث العلمي، والتعامل مع القضايا بموضوعية، وتعميم ثقافة البحث والتحري والاستدلال، ورعاية المبدعين واكتشافهم، وتوفير الفرصة للراغبين في البحث والكتابة والتأليف، وإقامة جسور التعاون بينهم وبين الجمهور، لذلك فإن لها دوراً في تطوير الحياة الفكرية والمعرفية، عن طريق أنشطتها الثقافية و منابرها الإعلامية المختلفة¹¹، كما تلعب دوراً في تطوير نظم التعليم والسياسات التعليمية والاجتماعية والاقتصادية.

وبذلك تخدم هذه المراكز المؤسسة الأكاديمية، من ناحية تحويل التجربة العلمية إلى مادة نظرية، تدعم البناء العقلي والعلمي، وتقدم له أرضية التطور¹²، ومتابعة أحدث الدراسات، وترجمة منشورات ومؤلفات تصدر عن المؤسسات والمراكز البحثية في الدول الأخرى¹³، ونقف هنا متسائلين: هل المراكز العربية ما زالت تعيش محدودية الدور وروتينية الإجراءات، ولم تحظ بعد بالأهمية اللازمة مقارنة بما وصلت إليه المؤسسات في أوروبا والولايات المتحدة¹⁴، وإنما الهدف من طرح الموضوع، هو المقارنة بواقع البحث العلمي في بلادنا.

وما نلاحظه في العقود القليلة الماضية، أنه نشأت في الوطن العربي مراكز أبحاث ودراسات متعددة، وقد توزعت بين الجامعات... وتشترك في إنتاج المعرفة والأفكار وصنعها، إلا أن وضعها لا يزال هشاً، مقارنة بما هو

موجود في الغرب، فضلا عن انخفاض عددها، وقلة تفاعلها مع البيئة المحيطة بها، ويبدو أن تخلف الدول العربية في مجال البحث العلمي، قد انعكس بصورة أو بأخرى على هذه المراكز¹⁵، ويتضح لنا أن أول مركز أبحاث عربي وقع إنشاؤه، هو معهد البحوث والدراسات العربية الذي كان يرتبط بالجامعة العربية في القاهرة عام 1952.

ولنتساءل أين دور المخابر ومراكز البحث في النهوض بالخطوة الشاملة للثقافة العربية التي وضعتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام 1986، أن التراث الثقافي العربي يشمل المخطوطات والوثائق والآثار والمتاحف والمكتبات والتراث الشعبي وطرز العمارة، والعلوم بمختلف أنواعها وتشعباتها، فمن ينفخ الروح في هذا الانتاج المغمور، ومن ينفخ الغبار عن هذه الكنوز الموجودة في رفوف المكتبات وقد تآكلت. ألم يكن لهذا أثر في نهضة الغرب بشكل علم والنهضة الأوروبية بشكل خاص! فإلى متى تبقى مراكز البحث العربية عاجزة.

وللدفع بمراكز البحث والمخابر إلى النهوض ومسيرة الركب نذكرهم بشهادات حية لعلماء الغرب الذين يقرون بمعارف العرب وسبقهم لغيرهم حتى تبوؤا مكانة رفيعة في تاريخ العلم والحضارة، فها هو جورج مارتون في كتابه "تاريخ العلم" يقول: إنه لعمل عظيم أن ينقل العرب إلينا علوم اليونان وفلسفتهم وأن يزيدوا عليها حتى أوصلوها إلى درجة مرموقة من النمو والارتقاء". وقال اوسلر: "لئن أشغل العرب سراجهم من القناديل اليونانية، فإنهم ما لبثوا أن أصبحوا جميعا شعلة وهاجة استضاء بنورها أهل الأرض". وشهد سيديو بتأثيرهم اللاحق في الغرب إذ قال "إن العرب كانوا أساتذة أوروبا كلها في كل فروع المعرفة"¹⁶.

فإذا كان هذا دأب أجدادنا في الاشعاع الفكري والحضاري عبر العصور، فماذا قدمنا نحن للعالم. وفي أي المراتب نصنف أنفسنا ومراكزنا البحثية؟ ولنسائل أنفسنا نحن أصحاب المخابر والمراكز البحثية في الوطن العربي بما نمتلكه من إمكانيات وقدرات وثروات و وسائل تكنولوجية ماذا أدينا للإنسانية من خدمات، مقارنة بإبن خلدون والبيروني والفارابي وسواهم من الأعلام الذين أدوا أجل الخدمات رغم ضعف الإمكانيات التي كانت في عصرهم، فهم عرب موطننا ولغة وثقافة أيّا كان نسبهم، وليس من عاقل يفرزهم خارج الحضارة العربية التي كان ركنها الدين الإسلامي و اللغة العربية والتعايش السلمي والوحدة من خلال التنوع.

ويأتي الاعتراف من الغربيين أنفسهم بما قدمه العرب للإنسانية جمعاء، فهذه زيغريد هونكه تؤلف كتابا تسميه: "شمس العرب تسطع على الغرب" وهي ألمانية المنشأ والأصل، وهذا روجه غارودي المفكر الفرنسي الشهير خير شاهد على أهمية هذا الحدث ونعني انتقال العلوم من العرب إلى الغرب، يقول: "إن الحضارة العربية الإسلامية قد أغنت الإنسانية خلال ألف من الأعوام وهيأتها للمستقبل، لقد نقلت الحضارة العربية عبر صقلية وإسبانيا إلى أوروبا ثقافة كان العرب يحملون همها وتبعاتها مدة عشرة قرون، فكانت المرضع لحضارة الغرب.

لقد أعطينا للعالم الكثير من مجالات العلم والفكر، ودار الفلك دورته فإذا بنا نقع في ركود أشبه بالجمود لأسباب خارجية وداخلية، وتقدم الغرب بعد أن اقتبس منا ما اقتبس ومنذ قرنين ونحن نحاول جاهدين لننهض ونسترد مكانتنا، والعقبات ما زالت أمامنا.¹⁷ بيد أنه لا يأْس، فالإنسان العربي يناضل بصبر وعناد للتخلص من رواسب الجهل والتخلف والتغريب والتسلط، ولا بد لنضاله أن يثمر ولسعيه أن ينتصر، فيلتقي بالمتقدمين ويكون له دور المشاركة كما كان له في الماضي دور في الأسبقية والريادة.

ترى ونحن نرى ونعيش في مجتمعاتنا العربية المخترقة من قبل عدوّنَا، لا سيما الاختراق الثقافي، هل نقول لعدونا ولصناع العولمة بأن يكفوا عن اختراقنا، لا بل هل نناشدهم بإعادة لغتنا القوية إلينا¹⁸، ونتاجنا العلمي والإنساني المسروق كي نعود أمة قوية، أم ماذا نفعل؟

إن دور المخابر والمراكز البحثية في صناعة القرار لن يتأتى من العدم ما دام اعتمادنا قائما على غيرنا، فلقد غيّبنا وغابت لغتنا، لغة العلم، العلم الذي نشأت عنه وتمازجت معه وفي النهاية حفظته، فها نحن اليوم نتطلع على ما تجود به علينا مراكز بحثهم ومخبرهم، بلغة الهيمنة والقوة التي تحدث عنها ابن خلدون، قوة الحاكم المسيطر باسم العولمة على الكرة الأرضية التي صاغها قرية ترتبط جميع أجزائها عبر تقنياته الكثيرة، والمذهلة في تطورها، وفي لغته التي يريد أن تسود العالم في هذا الزمن زمن العولمة¹⁹، لأن اللغة هب أداة التفكير والإبداع والتواصل، ورمز الشخصية العربية، لذلك حين ضعفت شوكة العرب، أصيبت اللغة بالعجز أيضا، وصارت بعيدة عن أبنائها وعن فكرهم، لأنهم لا يكتبون ولا يبحثون ولا ينشرون، ومخبرهم هياكل بلا روح، لا تغني ولا تسمن من جوع.

ولكي يكون لهذه المراكز البحثية والمخابر دور في صناعة القرار عليها أن تحت الدول العربية وتدفعها إلى إقامة مشاريع بحثية ومخططات تنموية في كل القطاعات وخاصة القطاعات الحساسة والمهمة كقطاع التربية والتعليم والثقافة، فتسعى إلى تحديث مناهج تعليم اللغة العربية، واستخدام تقنية المعلومات والاتصالات واعتماد مبدأ التعليم مدى الحياة، وتقريب العلوم والتقانات، وتوطينها، مع الاهتمام بالبحوث اللغوية ذات البعد التقني²⁰، ويسعى المشروع أيضا إلى ترسيخ المعرفة بلغة المجتمع، وإتاحتها للجميع، وحماية الهوية العربية بين اللغات العالمية الحية، وتداول اللغة العربية في الأنشطة الإعلامية والإعلانية والوسائط المتعددة، والمساهمة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، هذا غيظ من فيض لما يجب أن تقوم به المراكز البحثية والمخابر في الوطن العربي.

ومن الأمور التي تؤثر في موضوعية الأبحاث، الخلفية الايديولوجية للباحث، إذ قد يفسّر القضايا، وفقا لما يؤمن به من مبادئ وتصوّرات، ودور هذه المراكز هو تهيئة المجتمع، لمواكبة التقدم السريع في مجال العلم والتكنولوجيا وثورة المعلومات، لكن الملاحظ هو تسجيل ضعف في التنسيق بين مراكز الأبحاث والقطاع الخاص والمراكز الأكاديمية في الجامعات²¹، يضاف إلى ذلك الافتقار إلى الكتب والدوريات خاصة منها تلك التي تتعلق بدراسة القضايا المعاصرة.

كما تبدو بنية مراكز الأبحاث العربية غير مولدة للأفكار المتجددة والإبداع .. كما تشكو مراكز الأبحاث في الوطن العربي من ضعف الإمكانيات التسويقية للإنتاج المعرفي، عند نشر كتب أو دوريات أو مجلات علمية. مع غياب مقياس أو أدوات لتقييم أداء المؤسسات البحثية عربياً.

بناء على ما تقدم من معلومات، فإن مراكز البحوث والدراسات في الوطن العربي في حاجة ماسة إلى إعادة النظر في ارتباطها الإداري والتنظيمي، ودورها في التنمية، ومستوى مساهمتها في معالجة قضايا المجتمع ومواكبة التغيرات المتلاحقة التي يعيشها العالم في مجالات اختصاصها، إذ ينبغي أن تعمل على استقطاب أفضل العقول البشرية لمواجهة متطلبات التطوير وتحديات العصر الذي نعيشه²²، كما يتوجب على المراكز أن تستعيد دورها الذي أنشئت من أجله، كأداة فعّلة لإنتاج المشاريع الاستراتيجية، وخلايا تفكير عميقة تعمل لإنضاج المشاريع العلمية. لهذا السبب تعد مراكز الأبحاث ضرورة من ضرورات الحياة المجتمعية، وينبغي أن يقدم لها الدعم اللازم لبناء خطط التنمية المستقبلية.

ينبغي على هذه المراكز البحثية، أن تراعي في دراستها العلمية، والدقة والموضوعية، وتنظم المؤتمرات وورش العمل والندوات، بصورة دورية لما لطلبك من أثر في إثراء النقاشات وزيادة ربط مراكز الأبحاث بالواقع العلمي، وبمناهج البحث العلمي الحديثة، وبمصادر المعلومات الموثقة باعتبارها خطوطاً أساسية لإنتاج البحوث والدراسات، إضافة إلى تسهيل وصول الباحثين إلى الانتاج العلمي والمعرفي لمؤسسات بحثية أخرى، كما يجب على المراكز البحثية القيام باستقطاب الكفاءات من الباحثين وذوي الخبرة، والعمل على رفع مستواهم العلمي والمعرفي وتطوير مهاراتهم، وذلك عن طريق دورات، أو تبادل خبرات بين المراكز العربية والغربية. كما أن استقطاب الكفاءات الأكاديمية، وتكليفها بدراسات وأبحاث، من شأنه أن يعود بالنفع على هذه المراكز، وكذلك بناء شراكة حقيقية بين المراكز البحثية ووسائل الاعلام المختلفة، للتعريف بها وبأهميتها، وعرض نتائجها، وما تقوم به من نشاطات.²³

بالإضافة إلى التشديد على انخراط طالب الدكتوراه والمجستير والماستر في هذه المراكز، حتى يتسنى له إنجاز رسالته في مختبرات البحث، والاستعانة بما فيها من مراجع وأبحاث، وينبغي عليه أن يقضي ساعات معينة في أحد مراكز البحوث، كأحد متطلبات الحصول على الشهادة.

ولتفعيل دور هذه المراكز البحثية يجب أن تشكل هيئة أو مؤسسة لتحقيق التنسيق المتكامل بينها، باستثناء شبكة تؤسس شراكة عملية وبحثية بينها، والعمل على إنجاز دليل دوري لمراكز الأبحاث في الوطن العربي، لتسهيل التواصل الشخصي، والتعاون بين المراكز.

عودا على بدء، أقول إن مراكز الأبحاث في الوطن العربي في تصاعد وانتشار ونمو، ولكنها لم تأخذ مكانتها الحقيقية بعد في الوطن العربي²⁴، وقد حان الوقت ليصبح لتلك المؤسسات أهمية ودور رائد في خدمة قضايا المجتمع، وإن يكون وجودها خادما للمصلحة الحيوية للدولة.

يرى "جيمس ماكفان" أن مراكز الأبحاث تشكل جزءا من صميم المجتمع المدني وتعمل كمحفز للأفكار، وأنها مهمة في الديمقراطيات الصاعدة والمتقدمة في العالم²⁵، أما "دونالد أيلسون" من جهته، فيصف هذه المراكز بأنها "هيئات ذات توجه بحثي لا تهدف إلى الربح، ولا تعبر عن توجه حزبي معين، دون أن ينفي ذلك عنها صفة الإيديولوجية، وتتمثل أهدافها الرئيسية في تأثيرها على الرأي العام"²⁶.

ودائما في مجال البحث عن معيقات المخابر والمراكز البحثية في الوطن العربي وعدم مسايرتها للواقع نقف عاجزين عن حصر ذلك فمثلا إذا عرّجنا على البحث العلمي بمختلف اختصاصاته ومجالاته، نكاد نجزم أن معظم التشريعات والقوانين. فضلا عن واقع الحال ودور المشكلات المعروضة آنفا، تشجع كتابة البحث باللغة الأجنبية دون العربية، وقد سمعنا مؤخرا أن ما يتم تداوله هو فرض نشر البحوث الضرورية للترقية العلمية في مجالات علمية، ولن تكون بالطبع باللغة العربية²⁷، الحجة في هذا أن المجالات العلمية المحلية ليست على المستوى المطلوب، أليس من الأفضل الارتقاء بهذه المجالات لتصبح بالمستوى المطلوب وباللغة العربية مع ما لذلك من أثره على الارتقاء بهذه اللغة محليا فضلا عن نشرها عالميا ماذا بعد؟

بعد بيان أسباب التخلف عن الركب علينا بالتفكير في بناء المخابر والمختبرات والمؤسسات المعرفية والعلمية وإشاعة رفع البحث العلمي في المجتمعات العربية، لأن الحلول الحماسية لا تجدي²⁸، وهذا باعتراف من يتحلون بالروح العلمية، وهذا الأمر يجب الإقرار به لكي نتجاوز خطله ومثاله.

ما نلاحظه غالباً في الانتقادات الموجهة إلى المؤسسات العلمية والأكاديمية هو تمحورها حول الاعتراض على الاهتمام بالجانب النظري أكثر من التطبيقات العملية، وكذا عدم كفاية ما تقدّمه للمجتمع، وبعد النظر والتتبع لأسباب هذه النظرة السطحية، نجد أنها رغم عدم منطقيتها إلا أن هناك أسباباً لها، وتلك الأسباب تحيلنا للإشكال الحقيقي، والذي يكمن في وجود هوة تواصلية تحول دون اطلاع أفراد المجتمع وجماعته على النتائج العلمي المتوصل إليه، ما يحيل إلى إشكال آخر وهو العراقيل التي يلقاها الباحث في سعيه لنشر المعرفة العلمية التي يتوصل إليها. إذن فالخلل لا يكمن لا في الجانب النظري ولا الجانب التطبيقي العملي ولا في المؤسسات البحثية ولا في الباحثين، ومن جهة أخرى لا يمكن إلقاء اللوم على المجتمع إذ أنه لا يعترف إلا بما يراه أمامه، والحل إذن يكمن في الاهتمام بالجانب التواصلية والتوعية الإعلامية التي تسلط الضوء على الجهود والمخرجات العلمية وتثمنها.

• هوامش البحث:

- ¹ - عن دراسة دور مراكز الأبحاث في الوطن العربي، الواقع الراهن وشروط الانتقال إلى فاعلية أكبر، خالد وليد محمود، يناير 2013، ص 1-2.
- ² - المصدر نفسه، ص 3.
- ³ - سامي الخزندار، دور مراكز الدراسات الخاصة في البحث العلمي وصناعة السياسات العامة، ص 10، على الرابط: [http : // partnership.forum.ong/papers/7-2-ar.pdf](http://partnership.forum.ong/papers/7-2-ar.pdf)
- ⁴ - المصدر نفسه، ص 7.
- ⁵ - عبد الكريم خليفة، بحث: رسالة في فلسفة الأخلاق، المؤتمر السنوي الثامن نحو رؤية معاصرة للتراث، دمشق- سوريا، 2009، ص 19.
- ⁶ - زيد العساف ويوسف بركات، بحث بعنوان: مشكلات الكتابة العلمية باللغة العربية، دمشق، 2010، ص 3.
- ⁷ - المصدر نفسه، ص 2.
- ⁸ - شحادة الخوري، بحث: أثر التراث في النهضة الأوربية، المؤتمر السنوي الثامن، نحو رؤية معاصرة للتراث، 2009، دمشق، ص 2.
- ⁹ - زيد العساف ويوسف بركات، بحث: مشكلات الكتابة العلمية باللغة العربية، 2010، دمشق، ص 3.
- ¹⁰ - المصدر نفسه، ص 10.
- ¹¹ - نعمة العبادي، مركز الأبحاث في العراق، نظرية مستقبلية، موقع معهد الامام الشيرازي الدولي للدراسات، ص 21.
- ¹² - المصدر نفسه، ص 22.
- ¹³ - المصدر نفسه، ص 22.
- ¹⁴ - المصدر نفسه، ص 22.
- ¹⁵ - عن دراسة، ص 24.
- ¹⁶ - شحادة الخوري، بحث: أثر التراث في النهضة الأوربية، ص 3.
- ¹⁷ - المصدر نفسه، ص 12.
- ¹⁸ - مريم خيربك، بحث بعنوان: لغة الطفل العلمية، المؤتمر السنوي التاسع، الكتابة العلمية باللغة العربية، دمشق-سوريا، 2010، ص 4.
- ¹⁹ - المصدر نفسه، ص 4، 3.
- ²⁰ - المصدر نفسه، ص 09.
- ²¹ - جواد الحمد، عن دراسة، ص 36.
- ²² - جواد الحمد، عن دراسة، ص 39.
- ²³ - المصدر نفسه، ص 41.
- ²⁴ - المصدر نفسه، ص 43.
- ²⁵ - ستين بوشيه، مارتين ريو، مراكز الفكر: أدغة حرب الأفكار، ص 6.

²⁶ - رندة علوان حسين، مؤسسة رائد الأمريكية ودورها في السياسة الخارجية الأمريكية، بحث منشور عبر الرابط

www.iasj.net

²⁷ - زيد العساف ويوسف بركات، بحث: مشكلات الكتابة العلمية باللغة العربية، المؤتمر السنوي التاسع، 2010، دمشق،

ص 10.

²⁸ - المصدر نفسه، ص 13.